Journal of Engineering Sciences, Assiut University, Faculty of Engineering, Vol. 42, No. 2, pp. 527–547, March 2014

# الهوية والعولمة
# " نحو مدخل نظري يدعم إكساب النتاج البنائي هوية عمرانية مميزة "

**أحمد أبوالسعود حسن**

*مدرس مساعد عمارة - كلية الهندسة - جامعة سوهاج ،*
*وطالب دكتوراه بقسم التخطيط العمراني- كلية الهندسة- جامعة الأزهر بالقاهرة*

**Received 28 December 2013; revised 6 January; accepted 18 February 2014**

**الملخص**

تواجه المدينة المعاصرة وخاصة المدينة العربية تحديات كبيرة ، خاصةً بعد انتشار ظاهرة العولمة والثورة التكنولوجية الهائلة ، وما تبع ذلك من محاولة اللحاق بركب التطور الهائل في صورة التقليد الأعمى وطمس المعالم والخصائص المحلية المميزة للمدينة واستيراد نظريات وتشريعات عمرانية لا تمت للسياق المحلي بصلة، وهو ما أدى إلى افتقار عمران المدينة المعاصرة بصفةٍ عامة والعربية منها بصفةٍ خاصة إلى مجموع الخصائص والسمات التي تكسبها صفة الهوية (Identity) أو التفرد والتمايز فيما بينها واستفحال ظاهرة اللامكانيةPlacelessnes، وهو ما استدعى العمل على هذه الورقة البحثية، التي تهدف إلى استجلاء العلاقة فيما بين الهوية والعولمة للكشف عن أسباب استفحال ظاهرة اللامكان في عمراننا المعاصر، سعياً للوصول إلى مدخل نظري يدعم إفراز منتج عمراني يتسم بالانتماء إلى بيئته المحيطة ويحترم خصائص المجتمع المكانية وتوجهاته الفكرية وجذوره الثقافية في إطار دعم مستقبل الهوية العمرانية ومواكبة التطور العلمي والتكنولوجي، وذلك من خلال الوقوف على مفهوم الهوية العمرانية وركائزها الفلسفية والنظرية وتحليل مكوناتها الأساسية، والوقوف على مفهوم العولمة والتطور التكنولوجي وتأثير كل منهما على العمارة والعمران.

*الكلمات الدالة* :الهوية العمرانية Urban Identity، المعاصرة والأصالة Authenticity and Contemporariness، العولمة Globalization، التطور التكنولوجي Technology Development، اللامكانية Placelessness.

## 1. المقدمة

تواجه المدينة المعاصرة وخاصة المدينة العربية تحديات كبيرة ، خاصةً بعد انتشار ظاهرة العولمة والثورة التكنولوجية الهائلة ، وما تبع ذلك من محاولة اللحاق بركب التطور الهائل في صورة التقليد الأعمى وطمس المعالم والخصائص المحلية المميزة للمدينة واستيراد نظريات وتشريعات عمرانية لا تمت للسياق المحلي بصلة، وهو ما أدى إلى افتقار عمران المدينة المعاصرة بصفةٍ عامة والعربية منها بصفةٍ خاصة إلى مجموع الخصائص والسمات التي تكسبها صفة الهوية ( Identity) أو التفرد والتمايز فيما بينها واستفحال ظاهرة اللامكانية Placelessness، وبالتالي يظهر الاهتمام الواسع والحثيث بقضايا الهوية والإحساس بالتميز والمكانية (Sense of place) ، حيث يعد العمران (النتاج البنائي) بمثابة النافذة المفتوحة على حضارة الشعوب والأمم ، فهو أداة التعبير الفكري والثقافي للمجتمع في صورة منتج حضاري ملموس يعكس التوجهات الفكرية والثقافية لهذا المجتمع، ويعد توثيقاً لهويته العمرانية والثقافية، فلكل مجتمع خصائصه الحضارية وتوجهاته الفكرية والثقافية تلك التي تتمثل في قيمه العليا وبالتالي فهي غاياته، وأما المدينة فهي وسائله وتطبيقاته في واقع الحياة، فعلم العمران هو المنوط بتحديد النمط الحياتي أو المعيشي وكيفية تنمية هذا النمط عمرانياً واجتماعياً واقتصادياً، وبيئياً،....، بما يتفق وخصائص المجتمع المكانية وتوجهاته الفكرية والثقافية.

## 2. أهداف البحث

يهدف البحث إلى استجلاء العلاقة فيما بين الهوية والعولمة للكشف عن أسباب استفحال ظاهرة اللامكان في عمراننا المعاصر، سعياً للوصول إلى مدخل نظري يدعم إفراز منتج عمراني يتسم بالانتماء إلى بيئته المحيطة ويحترم خصائص المجتمع المكانية وتوجهاته الفكرية وجذوره الثقافية في إطار دعم مستقبل الهوية العمرانية ومواكبة التطور العلمي والتكنولوجي، وذلك من خلال الوقوف على مفهوم الهوية العمرانية وركائزها الفلسفية والنظرية وتحليل مكوناتها الأساسية، والوقوف على مفهوم العولمة والتطور التكنولوجي وتأثير كل منهما على العمارة والعمران.

## 3. منهجية البحث

ينتهج البحث أسلوب الدراسة النظرية التحليلية Theoretical and Analytical Approach كمدخل للتعرف على مفهوم الهوية العام والخاص ومكونات الهوية العمرانية وعناصرها الأساسية ، والتعرف على مفهوم العولمة والتطور التكنولوجي وأثرهما على هوية المكان.

## 4. الهوية

### *1.4. المفهوم العام للهوية*

يعتبر مفهوم الهوية كمفهوم عام من أكثر المفاهيم تعقيداً نظراً لصعوبة إيجاد تعريف واضح ومحدد، فهو مفهوم أيديولوجي أكثر منه مفهوم علمي، خاصةً وأنه يمكن التعبير عن الهوية من خلال سمات تشترك فيها الجماعة الواحدة مثل الدين أو القومية واللغة والعرق، وهذه السمات متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها (6).

وأما التعريف الفلسفي اللغوي للهوية فهو " ماهية الشيء بوصفه منفرداً متميزاً عن غيره " وكما يقول الفارابي " هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له، كل " واحد" ، وقولنا " أنه " إشارةً إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد لا يقع فيه اشتراك (7). ويعرف " قاموس التراث الأمريكي American Heritage Dictionary " الهوية بأنها " مجموعة من الخصائص التي تُعرف الشيء ذاته وتميزه عن غيره (32)".

ويؤكد "عصام العطار" : على انه لا يمكن القبول بالمعني الجمودي والساكن للهوية في عالم تتجدد معلوماته ومعطياته.. باستمرار، فلابد لنا من التجدد الدائم والإبداع المتواصل في كل مجال، وإلا فقدنا وجودنا الفاعل المؤثر وأزاحنا الركب البشري عن طريقه وقذف بنا إلى هوة التاريخ (10).

هناك أيضا إشكالية كبيرة تواكب ولادة ونضج واحتضار الهويات، فكل محاولة دمج لمجموعة من الهويات القادمة من ثقافات متفرقة ومتباعدة وتحويلها إلى هوية واحدة، تلك المشاريع المحددة سلفا لرسم معالم هوية جديدة تحمل كل مخاطر القمع الاجتماعي والثقافي والنفسي بشكل مباشر أو غير مباشر، فهي تزرع في اللاوعي صدمة الإكراه التي تجعل احتمال ولادة كائن مسخ، ذو هوية مضطربة وغامضة، باعتبار أن الهوية تخلق على امتداد زمني يُقيم ويُسقِط.

إلا أن هذا السيناريو ليس حتمية واحدة، فقد تتجدد أشكال الانتماء وتتصارع لتصل إلى تعريف واضح ومحدد لهويته الثقافية والقومية التي تعبر عن مصالح أغلبية اقتصادية واجتماعية وثقافية في زمن ومكان محددين، كما يمكن أن تكون مجرد وسيلة دفاع مؤقتة ومحلية في معركة الدفاع عن حقوق جماعية أو فردية، وإما العكس أي استغلال جماعات بشرية أخرى وأوضاع محددة (16).

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن المفهوم العام للهوية أنها: " نتاج مجموعة من الخصائص المتغيرة والتفاعلية التي تعرف الشيء ذاته وتميزه عن غيره "، مع التأكيد على أنها عضوية حيث أنها تولد ثم تنضج ثم تحتضر، وأنها تستمد قوتها الوجودية (الاستمرارية الحضارية ) من قدرتها على التفاعل والتغير لاستيعاب ومواكبة المستجدات من حولها.

### *2.4. الهوية العمرانية في ضوء مفهوم المكان*

يرتبط مفهوم الهوية العمرانية بمفهوم المكان الذي يرجع البحث فيه إلى عصورٍ بعيدة حيث الكتابات الفلسفية القديمة لسقراط الذي يرى أن المكان هو " حيثما يستحضر البُعد في علاقة الناس بالبيئة المادية شعور بالانتماء (33) "

ويأخذ مجال "علم النفس البيئي Environmental Psychology " بعين الاعتبار تصورات مختلفة للمكان من منطلق " الحتمية المادية Physical Determinism "، حيث أن البيئة وخصائصها لديها تأثير مباشر على السلوك، لرؤية العلاقة بين الناس والبيئة ديناميكية وتفاعلية، حيث أن التصور الديناميكي والتفاعلي للبيئة يشمل المعاني الاجتماعية والثقافية والنفسية للمكان، وفي ذات الإطار استخدم " Canter "، " المكان Place " كمصطلح وأنتج مصطلحه " علم نفس المكان Psychology Of Place "، الذي يرى فيه أن المكان هو " منتج من الصفات المادية والمفاهيم البشرية والأنشطة "، حيث يؤكد على الاعتماد المتبادل بين الناس والبيئة (25).

ومن المفاهيم المرتبطة بالمكان مفهوم " روح وعبقرية المكان Spirit Of Place\ Genius Loci "، الذي يرى أن الناس يعملون على خلق أمكنة ذات معنى وجودي في كل مكان يكون لهم فيه موطئ قدم، ومن خلال هذه التجربة التي يعيشها الإنسان في المكان، يكتسب المكان معنى وجودي، وهو ما يمكن أن نراه في الفرق بين " المسكن Dwelling " و " المأوى Shelter "، حيث أن عملية السكن المرتبطة بالمسكن هي عملية نفسية تحدث لنا من خلال علاقتنا بالمكان الذي نقطن فيه، ومن خلال هذه العملية يكون بمقدورنا توجيه أنفسنا من الداخل والتعرف على أنفسنا من خلال البيئة المحيطة، وذلك بخلاف المأوى الذي تقتصر علاقته بالإنسان على الاحتواء الفيزيقي للجسد ( مكان للنوم ، والراحة ، والوقاية من ظروف البيئة المحيطة) (11).

وبالتالي يمكن القول بأن المكان هو: مركب من مكونات مادية تتمثل في الإعدادات المادية الطبيعية والمصنوعة ، ومكونات لامادية تتمثل في الأنشطة والقيم والمعاني الرمزية المرتبطة بمجتمع المكان، في إطار عمليةٍ تفاعلية ديناميكية مع مستخدميه وهو ما ينمي شعور بالانتماء لهذا المكان لديهم وبالتالي الشعور بهويته".

**وتاريخياً:** حتى بداية القرن التاسع عشر كانت الهويات المحلية والإقليمية تظهر بصورة تلقائية بسبب العمليات الدارجة " vernacular processes " التي أنشأت بها معظم هذه الأماكن وفقاً للاحتياجات والخصائص الاجتماعية والثقافية لهذه الشعوب ، وكما ضمنت محددات النقل أن يكون إنشاء هذه الأماكن من مواد محلية، ومع الثورة الصناعية بحلول منتصف القرن التاسع عشر بدأت هذه القيود المحلية في التناقص، حيث وسائل النقل الرخيصة نسبياً واستيراد مواد البناء، ودعم التقدم العلمي للإمكانيات التكنولوجية، واستفادة النشر العلمي وزيادة أعداد المصممين الذين يمارسون عملهم عبر الحدود الإقليمية، وسن مجموعة من التشريعات العمرانية الموحدة لمحاولة تحسين الصحة العامة، مما أدي إلى تآكل الفروق المحلية والإقليمية عبر رحلة البحث عن معايير للأداء المشترك لإنتاج يمكن التنبؤ به، وبالتالي أصبح شكل البناء والأماكن المميزة إقليمياً لم يعد يحدث بطريقة دراجة وهو ما يذكره " Michael Hough ": " أن مسألة الطابع الإقليمي أصبحت مسألة اختيار وبالتالي مسألة تصميم بدلا من كونها ضرورة "، فالناس من شتى مناحي الحياة لديهم اهتمام بمسألة أو قضية الهوية بوجهٍ خاص من أجل تعزيز فهم واحد " ماذا يجب أن يعنيه مصطلح " هوية المكانPlace Identity " ؟ ، فعلى سبيل المثال يدعو أمير ويلز المصممين في عبارته الشهيرة " دعه أينما كان يصنع منه let where " it is be what it's made of "، أي حيثما كان المبنى كانت مواد بنائه"(37).

وأما على صعيد الوطن العربي فلقد أطلق شيخ المعماريين العرب " حسن فتحي " دعوته في ستينيات القرن العشرين إلى ضرورة الوصول إلى العمارة التي تنبع من الخصوصيات الثقافية والإقليمية للمجتمعات، ولقد أنتج حسن فتحي العديد من المشروعات في هذا الإطار على رأسها " قرية القرنه الجديدة"(15). شكل (1)

ويذكر " كيفن لينش Kevin Lynch ": أن الإحساس في أبسط صوره هو ' هوية Identity ' في المعني الضيق للمصطلح الأكثر شيوعاً ' الإحساس بالمكان A sense of place ' ، " فهوية المكان هي مدى قدرة الشخص على التعرف على مكان ما نتيجة تفرده عن غيره من الأماكن الأخرى بصفات وخصائص مميزة"(28).

ويري " Ian Nairn " أن هناك العديد من الهويات للمكان مثلما هناك العديد من الناس، فالهوية هي في تجربة المشاهد بقدر ما هي في مظهر المدينة، ولكن في حين أن كل فرد قد يعين هوية لأماكن معينة بوعيٍ ذاتي أو من خلال اللاوعي، فإن هذه الهويات مع ذلك يتم دمجها بشكل ذاتي مشترك لتشكيل هوية مشتركة، وقد يحدثٌ هذا لأن لدينا خبرة أكثر أو أقل لنفس الكائنات والأنشطة، ولأننا قمنا بدراستها للبحث عن صفات معينة من قبل الجماعات الثقافية لدينا(20).

ويؤكد " Christopher Alexander " على أهمية الأحداث والأنشطة في الشعور بهوية المكان وفق تعبيره " إن ما يجعلنا نحس بهوية وروح المكان وبتجربتنا معه لا ينبع فقط من البيئة المادية المشكلة له وإنما ينبع أيضا من نسق وأنماط الأنشطة والأحداث التي نختبرها أو نمارسها في المكان(17).

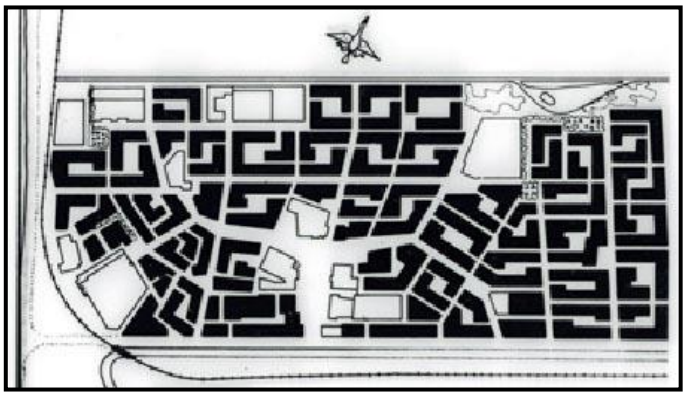

مخطط قرية القرنه الجديدة

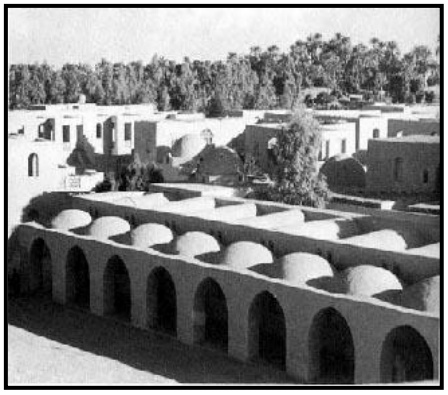

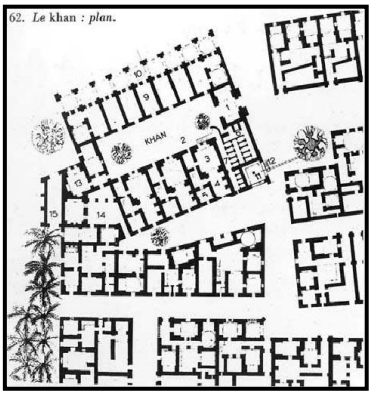


المسقط الأفقي والواجهات لخان قرية القرنه الجديدة

**شكل (1):** قرية القرنه كنموذج للدعوة لاحترام الخصوصية البيئية والثقافية المحلية والاقليمية المصدر: (9)

ويضع "جميل أكبر" تمييزاً بين الهوية العمرانية والمعمارية فيقول أن الهوية العمرانية: هي كل ما يعطي البيئة الطابع المميز لها، من مباني وشوراع وفراغات عامة وخاصة ومفتوحة وعناصر تنسيق هذه الفراغات الطبيعي منها والمصنوع، فالمبنى هو عنصر واحد من عناصر تحديد الهوية العمرانية، وبالتالي تسهم الهوية المعمارية في تحديد معالم الهوية العمرانية ولكنها لا توجدها (5).

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن " **الهوية العمرانية** " : هي نتاج توليفة أو دمج مجموعة من الهويات الذاتية المتمثلة في هوية الأحداث والأنشطة، والهوية الذاتية للعناصر المادية الطبيعية والمصنوعة المكونة للمكان، وهوية الشخص والجماعة، والهوية الثقافية التي ينتمي إليها المكان ومستخدميه، كل هذه الهويات يتم دمجها ذاتياً في إطار تفاعلي تبادلي لتشكيل وتكوين هوية المكان (أو الهوية العمرانية للنتاج البنائي)، تلك التي تميزه عن غيره من الأماكن".

### *3.4. الهوية في منظور الأصالة والمعاصرة*

وهي من الجدليات واسعة النطاق في قضايا الهوية العمرانية أو هوية المكان، ويتنوع مفهوم **" الأصالة Authenticity "** ما بين الاصطلاحي منها والأيديولوجي، ويمكن أن يطلق لفظ " الأصالة " على أي عمل يبرز فيه نوع من أنواع الابتكار أو الإبداع ، وهناك من يرى أن " الأصالة " تشير إلى معنيين ، أحدهما زمني والآخر منهجي أو كليهما معاً (8)، ويرى " فؤاد زكريا " أن " الأصالة " تشير إلى معنى منهجي ويستبعد الإشارة إلى الزمن ، على أساس أن الأصل يتجاوز مفهوم الزمن ، ويتفق معه لتجاوز مفهوم الزمن " الجابري "، " حنفي "، بينما يرى آخرون ربط مفهوم الأصالة بالماضي وبالتراث، وهو ما يعني ضمنياً أن

الأصل ينتمي زمنياً إلى الماضي، حيث أن الأصالة تتحضر في القديم وإن كان نسبياً، فالأصالة هي مفهوم يعبر عن الأنماط التقليدية والماضوية في التعامل مع الأشياء (8)، ويرى " د. عبدالباقي إبراهيم" أن الأصالة هي الحصاد الحضاري لتراث المجتمع ثقافيا واجتماعيا وعمرانيا على مدى التاريخ (2).

وأما **" المعاصرة Contemporariness "** فهي تطلق أحياناً كمرادف لمصطلح الحداثة، وهو لفظ صاحب الثورة الصناعية، حيث المناداة تحت لواء " توجه الحداثة " بالاهتمام بالنواحي المادية والنفعية الخالصة وإهمال الأبعاد الثقافية والاجتماعية والنفسية السلوكية وحتى الاعتبارات البيئية، في مناداةٍ بنموذج دولي للعمارة والعمران يقوم على افتراض وحدة متطلبات كل المجتمعات، وبالتالي جاء العمران المعاصر غريباً عن بيئته ومجتمعه فهو عمران اللاهوية، وهو ما أدى إلى اتساع الفجوة بين المجتمع والمدينة المعاصرة حيث عدم الانتماء والتغريب والاغتراب. (شكل2)

ويرى د. عبدالباقي إبراهيم: أن المعاصرة هي النتيجة الحتمية للتفاعلات المستمرة للمقومات الحضارية للمجتمع والمرتبطة بحركة التاريخ حاملة ما تستطيع من الحصاد الحضاري لتراثه ومتأثرة بالبعد الجغرافي لموقع هذا المجتمع من المجتمعات الأخرى التي تؤثر عليه في موجات متلاحقة من المد والجذر الحضاري مترددة بين الضعف والقوة تاركة آثارها سلبا أو إيجابا تبعا لقدرة المجتمع على مواجهتها أو التفاعل معها أو الخضوع لها، ويرى أيضاً، أن الأصالة تلتزم بالمعاصرة في حلقات متتالية ومستمرة تدفع حركة المجتمع صعودا وهبوطا على مدى الزمان وفى بعد المكان لتظهر في العمارة والعمران كما تظهر في غيرها من المقومات الثقافية والاجتماعية للمجتمع (2). (شكل3)

وبالتالي يمكن القول بأن النتاج العمراني ( المكان ) يتصف بالأصالة عندما يعكس أصالة المنهج في التعامل مع الموقع والاستجابة لخصائصه المادية (الطبيعية والمصنوعة) وخصائصه اللامادية المتمثلة في خصائص مجتمعه الاجتماعية والثقافية المتجذرة فيه على طول عمره وتاريخه ، مع التأكيد على الارتباط بين الأصالة والمعاصرة في إشارةٍ إلى التعاطي مع القيم والثوابت الثقافية والاجتماعية واستيفاء متطلبات الوضع الراهن ومواكبة مستجدات العصر.

النزعة الفردية وسيطرة النموذج المعماري العولمي
(مركز المال والأعمال – مدينة القاهرة الجديدة)

(إسكان شباب مبارك- مدينة الفاهرة الجديدة)

**شكل (2):** عمران المدن الجديدة بمصر يعكس الغرابة وعدم الانتماء (اللا- أصالة). - المصدر: تصوير الباحث

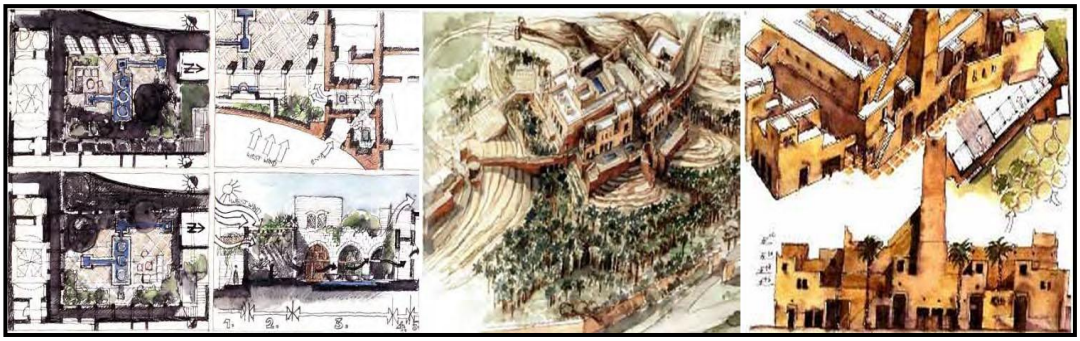

**شكل (3):** مجموعة من أعمال المعماري " راسم بدران " كمثال لمحاولة ربط المعاصرة بالأصالة والتأكيد على الخصوصية البيئية والثقافية .

Source: Steele, James (2005), The Architecture of Rasem Badran: Narratives on People and Place, Thames & Hudson, Limited.

### *4.4. العناصر الأساسية للهوية العمرانية (هوية المكان)*

تقدم الأماكن من حيث مضمونها المحدد لهتنوع ملحوظ في واحد من العناصر المشتركة التي يصعب فصلها، فتجربتنا للأماكن مباشرة وكاملة وغالباً ما تكون غير واعية ذاتياً، ولو أن هناك أجزاء مكونة لها ، فإنها تختبر بشكل كامل متكامل في إطار التركيب الشامل لها، ولكن يمكن للشخص تمييز المكونات التي تشكل المادة الأساسية " هوية المكان Place Identity "، ومن خلال مقالات " Albert Camus " في شمال أفريقيا التي تستخدم لشرح مكونات هوية المكان ، يظهر ثلاثة مكونات أساسية لهوية المكان تتمثل في : الإعدادات المادية الثابتة the static physical setting ، والمعاني Meanings، والأنشطة Activities ، بالإضافة إلى مكون رابع يأتي كنتيجة لتآلف المكونات الثلاث وهو روح أو عبقرية المكان Spirit Of Place or Genius Loci (20).

### *1.4.4. الإعدادات المادية الثابتة*

وتنطوي "الإعدادات المادية الثابتة the static physical setting " على البيئة الطبيعية ومكوناتها والبيئة المبنية ومكوناتها وهي كالتالي:

أ- **البيئة الطبيعية:** هي تلك المخلوقة من البدايات المبكرة لنشأة الكون ولديها اتزاناً بيئياً، وتسمح بمعيشة الإنسان فيها ليمارس حياته ضمن الأنظمة الاجتماعية والثقافية ....، وتحكمها قوى طبيعية (3).

وتتمثل عناصر البيئة الطبيعية في كلاً من :

- **المناخ وخصائصه :** وهو عامل ثابت لكل إقليم يوجه مبانيه ومجموعاته العمرانية، كما يوحي بالمعالجات المعمارية التي تساعد في توجيه حركة الهواء أو الحماية من أشعة الشمس، واستعمال مواد البناء لهذه الظروف المناخية (1)، ويعد المناخ من أهم العناصر الطبيعية الفاعلة في تمايز النتاج البنائي وتشكيل هويته. شكل (4)
- **شكل الأرض (الطبوغرافيا) وطبيعتها:** وهو عامل مؤثر على كيفية توزيع الاستعمالات، كما تؤثر على تشكيل شبكة الطرق، كما أن المواقع المرتفعة تتيح نقاط جذب بصري مميزة، فطبوغرافية الأرض هي عامل رئيسي في إكساب بعض المناطق العمرانية هويتها (36)، كما تؤثر طبيعة التربة في مدي صلاحيتها للبناء عليها وارتفاعات البناء ومدى صلاحيتها للزراعة وهو ما يؤثر أيضاً على توزيع الاستعمالات والتشكيل العمراني والنشاط الاقتصادي للتجمع العمراني وهو ما يؤثر في صياغة الهوية العمرانية والاقتصادية لهذا التجمع(4). شكل (5)
- **المسطحات المائية** وهي تلعب دوراً محورياً في تشكيل الهوية العمرانية للمدن والمناطق العمرانية، وهو ما يمكن استنتاجه من تحليل" جمال حمدان" لشخصية وهوية مصر :( هي بالطبع مثال النهر الكامل، هي البيئة

النهرية بامتياز، وبالتحديد نموذج البيئة الفيضية المطلق، بل هي بكل سهولة " أكثر الفيضيات فيضانية"، حياتها كلها النهر، لا وجود لها بدونه، بحيث تظل مصر في التحليل الأخير هي النيل (13) (6).

- **الثروات والموارد الطبيعية:** وهي تؤثر تأثيراً مباشراً على تخطيط المدينة خاصةً النشاط الاقتصادي والقوى العاملة وهو ما ينعكس على توزيع استعمالات الأراضي والنشاط الغالب عليها، فهناك الكثير من المدن التي اشتهرت بنشاط معين يتصل بالثروة الطبيعية الموجودة بها أو بالإقليم الذي تقع فيه، مثل مدينتي بورسعيد والسويس اللتين اشتهرتا بكونهما موانئ بحرية بالنسبة لما تتمتعان به من موقع جغرافي على قناة السويس الممر المائي العالمي.
- **النباتات والحيوانات والبرية:** النباتات البرية تنمو بدون تدخل الإنسان وهي تعبر عن ظروف البيئة التي تنمو فيها، وتعد نتاج نهائي لتآلف عناصر البيئة الجيولوجية والطبوغرافية والمناخية، وتتيح هذه النباتات الطبيعية الحياة لأنواع معينة من الحيوانات البرية (14)، وتعد النباتات والحيوانات البرية عنصر تمايز، فضلاً عن إسهامها في الاتزان البيئي، ويمكن إقامة أنشطة تسهم في الهوية العمرانية للمدينة، مثل حدائق الحيوان المفتوحة بمدن جنوب أفريقيا، أو إقامة صناعات دوائية أو نشاط اقتصادي على نوعيات من النباتات البرية النادرة.

وبالتالي يمكن القول بأن: عناصر البيئة الطبيعية في أي بيئة تتميز بالتناغم والتجانس (نظم ايكولوجية متزنة) في إطار علاقات معقدة متبادلة من "صنع الله سبحانه وتعالي" تتسم بالتمايز والمغايرة من بيئة لأخرى، فإذا كنا نبحث عن عمران ذو هويةٍ مميزة يتسم بالتجانس والتآلف مع محيطه الطبيعي فلا بد من اعتبار كل عنصر من عناصر البيئة الطبيعية وعلاقته بالعناصر الأخرى.

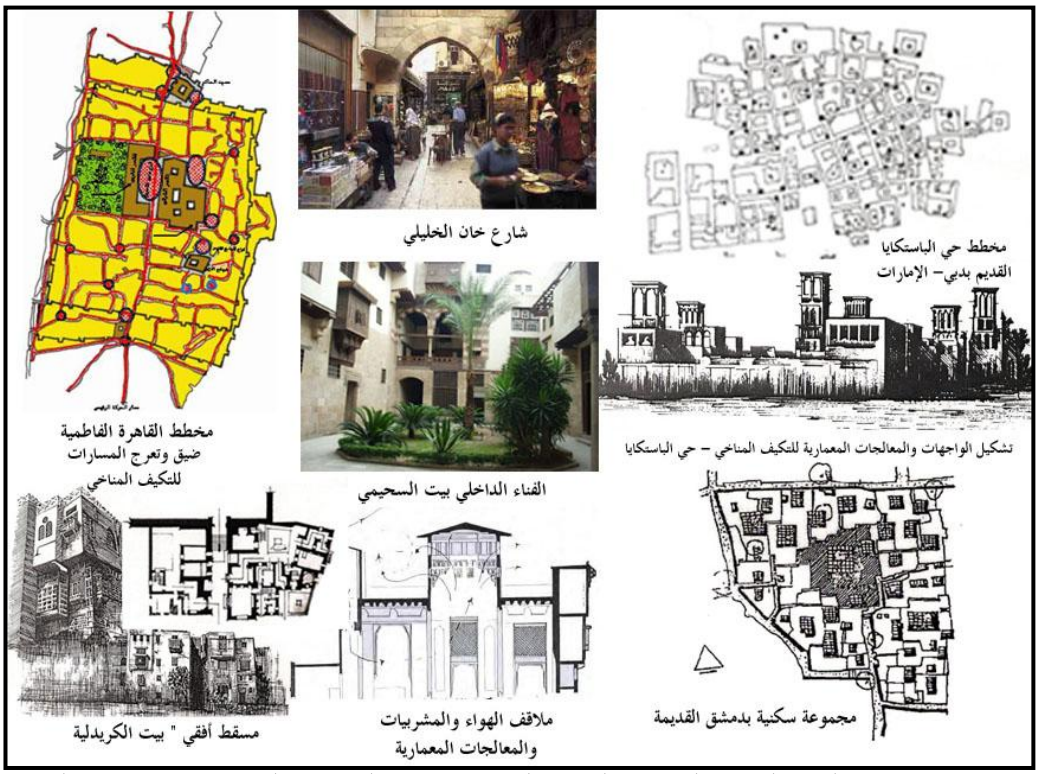


**شكل (4):** نماذج من المدن العربية القديمة ( القاهرة الفاطمية – حي الباستكايا القديم بدبي – دمشق القديمة ) وكيفية مؤائمتها للمناخ المحلي عمرانياً ومعمارياً .المصدر: (1) ، بتصرف من الباحث.

**شكل (5):** تأثيرات شكل الأرض وطبيعتها على تشكيل العمران وتوزيع الاستخدامات وتشكيل شبكة الطرق وإبراز المعالم المميزة.
المصدر: (بتصرف من الباحث)

- http://travel.maktoob.com/vb/travel243287/
- Simonds, John O. (2006), " Landscape Architecture: A Manual of Environmental Planning and Design ", Fourth edition, McGraw, Hill Book Company, London.
- حسن ، عاطف حمزة (1992)، تخطيط المدن: أسلوب ومراحل، مطابع قطر الوطنية، قطر.

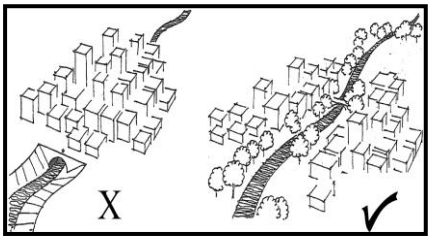


أ - التعامل الأمثل مع المسطحات المائية

ب- المسطحات المائية تثري المشهد العمراني وتكسبه هوية مميزة ، فهي عنصر فاعل في إكساب الجودة البيئية.

شكل (6): المصدر: - ترجمة: عيسى، جهاد – البدوان، غسان (2009)، أسس التصميم والتشكيل العمراني ، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية.

- Biddulph, M., 2007," Introduction to residential layout", Elsevier Limited.

**ب- البيئة المبنية:** هي من صنع الإنسان، وهي المحتوى المشيد الذي كان في الماضي طبيعياً، ثم تدخل فيه الإنسان بجهده ليغير من تشكيله الطبيعي بالحذف أو الإضافة، مستعيناً بعلوم معرفية وأدوات ومواد وفنون تقنية، ليكون في نهاية الأمر حيزاً مكانياً له سماته وملامحه الخاصة به" (3).

ويعرف (بارتوسكا Tom J. Bartuska) البيئة المبنية من خلال أربعة خصائص متداخلة، فهي كل شيء قام الإنسان بإنشائه وصنعه وتعديله وتنظيمه وصيانته، فهي صناعة بشرية، وهي تلك البيئة التي أبدعها العقل البشري بقصد تلبية احتياجات ورغبات وقيم الإنسان، هي التي تنشأ من أجل مساعدتنا في التعامل مع/ وحمايتنا من البيئة المحيطة وتطويعها لتحقيق سبل الراحة، وهي التي يتأثر تشكيل مكوناتها بالسياق المحلي وخصائصه، فكل شخص أو جماعة تسهم إما إيجاباً أو سلباً في جودة البيئة سواءً أكانت طبيعية أو مبنية أو بشرية، ويحدد (بارتوسكا Tom J. Bartuska) سبعة مكونات للبيئة المبنية متداخلة العلاقات (شكل7)، وهي:(18)

**المنتجات Products :** وهي تشمل السلع والمواد التي تصنع لتمكن الإنسان من أداء مهام محددة، وتشمل الرموز التصويرية Graphic Symbols، الأدوات Tools، والمواد Materials، والآلات Machines، وتشمل أيضا الفرش الداخلي للوحدات وعناصر فرش الفراغات الخارجية.

**الفراغات الداخلية Interiors :** وهي تتكون نتيجة ترتيب مجموعة من المنتجات، وعموماً، هي محتواه داخل هيكل أو بناء Structure من أجل تعزيز ممارسة أنشطة معينة وتطويع عوامل البيئة الخارجية والحماية منها.

**المنشآت Structures :** وهي التي تتكون من مجموعة من الفراغات الداخلية، وتنشأ من المنتجات ، ولها أيضاً شكل وتشكيل خارجي يربط بين " الداخل والخارج Indoor and Outdoor "، وعموماً، فإن المنشأ يرتبط بوظيفته، سواءً في التنظيم الداخلي للفراغات أو في مواد الإنشاء أو التشكيل الخارجي لواجهاته.

**الفراغات الخارجية المنسقة Landscapes :** وهي التي المساحات / الفراغات الخارجية التي تجمع بين عناصر البيئة المبنية والمصنوعة (الطبيعي والمصنوع)، وبمعنى آخر هي الإعداد المادي المخطط ليحتوي مجموعة من المباني والفراغات فيما بينها وحولها (الأفنية والفراغات العمرانية والمفتوحة، الأسواق ، ....)

**المدن Cities :** تتكون المدن نتيجة تجميع وتنظيم المنشآت والفراغات الخارجية المنسقة بأحجام ومستويات من التعقيد متنوعة، وعموماً، فإن المدن تتكون وفقاً لبنية ثقافية اجتماعية اقتصادية و/أو لأسباب بيئية مختلفة.

**الأقاليم Regions :** وهي تتكون من تجميع المدن والمناظر الطبيعية أو الفراغات الخارجية الطبيعية، وعموماً، فهي تتكون وفقاً لبنية سياسية واجتماعية واقتصادية مشتركة و/ أو الخصائص البيئية (إقليم المدينة، المحافظة، الأقاليم التخطيطية المكونة للدولة، ..).

**الأرض Earth :** وهي التي تجمع جميع المكونات السابقة.

وبالتالي يمكن القول بأن هذه المكونات تفهم على هيئة مستويات متصلة من نطاقات مختلفة تتداخل معاً لتشكيل البيئة العمرانية ، وتكون المنتجات وطريقة تشكيل وتنظيم الفراغات الداخلية للوحدة وتشكيل وترتيب كتل المباني وتشكيل وتنسيق الفراغات الخارجية وفقاً لاحتياجات وثقافة مجتمعها وبما يحقق التكيف والملائمة مع الخصائص الطبيعية للموقع ، فالبيئة المبنية هي نتاج لمتغيرات المجتمع وخصائصه والبيئة الطبيعية وخصائصها، وبالتالي فالنتاج البنائي هو متغير بتغير العوامل الحاكمة له والأهداف الكامنة ورائه تلك التي تكسبه هويته وشخصيته المميزة، وهو ما يجعل النتاج البنائي بمثابة ترجمة مادية لخصوصية المجتمع وخصوصية الموقع الطبيعي، فهو بمثابة سجل مادي ملموس يمكن من خلاله استقراء هوية المجتمع والموقع. شكل ( 3)

### *2.4.4 المعانـي*

وهي تمثل القاسم المشترك مع الأنشطة للمكونات اللامادية للهوية العمرانية (هوية المكان)، وقد تكون معاني الأماكن متأصلة في الإعدادات المادية وفي الأنشطة ولكن هي ليست خاصية منهم ، وإنما هي خاصية المقاصد والخبرات البشرية ، فالمعاني يمكن أن تتغير وأن يتم نقلها من مجموعة من الأشياء لأخرى ، ومن صفاتها التعقيد ، الغموض ، الوضوح ..... (20).

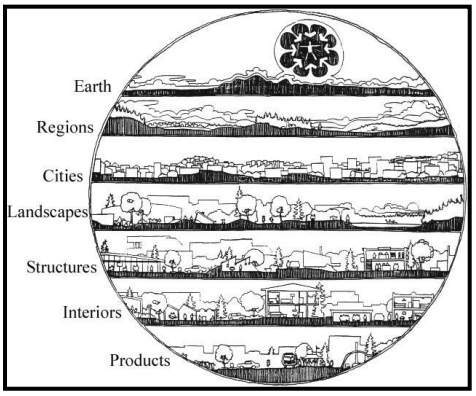


**شكل(7):** مكونات البيئة المبنية وفقاً لـ" بارتوسكا Bartuska"– المصدر: (18)

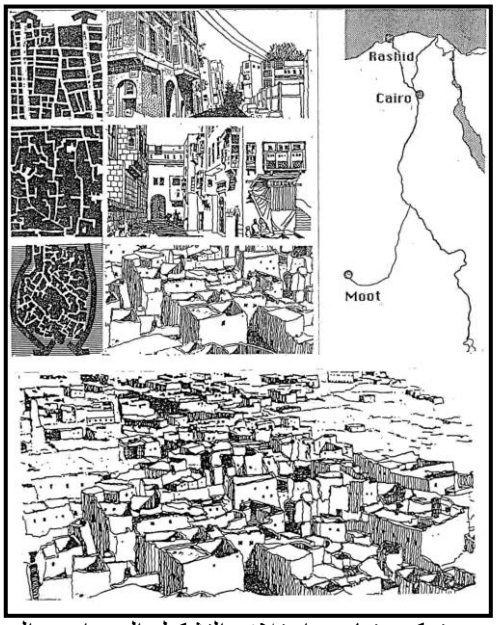


**شكل (8):** ثلاثة أمثلة داخل مصر تعكس تباين واختلاف التشكيل العمراني والمعماري بما يلبي احتياجات وخصائص المجتمع ويتوافق مع ظروف البيئة الطبيعية.
المصدر: عبدالقادر، نسمات – التوني، سيد(1997) ، " إشكالية النسيج والطابع " ، دار العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة.

يرى ( كانتر Canter) أنه لا يمكن القول بأن النتاج البيئي لتفاعل الإنسان مع بيئته هو حدث فطري، بل على العكس، فهو حصيلة الخبرات المنقولة والمتوارثة عبر الحضارات والثقافات، فالإنسان يشكل بيئته ويعدل من صورتها، ومن ثم ينعكس ذلك على تصرفاته وحياته، وتختزن هذه المفاهيم لديه في صورة معلومات يسترجعها فيما بعد عندما يشرع في بناء مجتمعات بيئية وعمرانية جديدة مشابهة أو مختلفة لما لديه من صور ومعلومات (معاني)(19).

ويشير الفيلسوف الأسترالي (Jeff Malpas) إلى أنه " من أجل فهم الذات يجب على الشخص أن يكون لديه فهم وبالتالي يكون لديه معنى للمكان الذي هو فيه"، حيث الإشارة إلى الطبيعة المتعددة لمعاني الأماكن بالنسبة لمجموعات وأفراد مختلفين، فقد يكون لديهم مفاهيم مختلفة عن نفس المكان، فمعاني الأماكن هي ذات جذور ثقافية للمجتمع، وذات أهمية كبيرة، فهي تؤثر على كيفية تقييم واستخدام وإدراك المكان بالنسبة لأفراد وجماعات المجتمع(24).

وفي إطار تأثير المعاني المتجذرة والنابعة من ثقافة المجتمع على إدراك أفراد المجتمع، يرى (Rapoport): أن إدراك الناس لعالمهم المحيط لا يحدث مباشرةً، ولكن هناك ما لا يقل عن مجموعتين من المرشحات التي تتوسط المجال بين العالم الحقيقي والعالم المنظور، حيث تمثل الصورة الثقافية المحلية Local Culture Image للشخص المرشح الأول، حيث تقييم مدى الاختلاف أو التوافق مع القيم الثقافية للمجتمع المحلي، وتمثل الصورة الشخصية Personal Image المرشح الثاني، حيث القبول أو الرفض وفقاً للتفضيلات الشخصية، وبالتالي فإن نفس العالم الحقيقي يمكن أن يدرك بشكل مختلف من قبل أشخاص أو مجتمعات تختلف في الثقافات(34). شكل(9)

ويقول (Rapoport) أيضاً " بدون محاولة تعريف الثقافة يمكن للشخص أن يقول أنها نتاج مجموعة من الناس الذين يشتركون في مجموعة من القيم والمعتقدات والنظام الرمزي والنظرة للعالم التي يتم تعلمها ونقلها، وهذا يخلق نظام من القواعد والعادات التي تعكس المثل وأسلوب الحياة وأنماط من السلوك الموجه والأدوار والأخلاق، فضلاً عن الأشكال المبنية Built Forms، فالتعبيرات الاجتماعية مثل الجماعات، تركيب الأسرة، والعلاقات الاجتماعية، ....وغيرها، غالباً ما يكون لديها إعدادات مادية مرتبطة بها أو أنها تنعكس على البيئة المبنية، فإن ما يميز بيئة عن أخرى هو طبيعة القواعد التي تجسدها أو المستترة أو المشفرة فيها، وهذه القواعد يجب أن تتحدد من خلال تنظيم الفراغ والزمن والمعنى والاتصالات، ومن ثم فنحن مهتمون بالعلاقة بين العناصر والمعاني الكامنة ورائها أكثر من العناصر نفسها، وفي الواقع، سواءً على مستوى المستوطنة أو على مستوى المبني، فإنه يتم تشكيل البيئة المصنوعة من عناصر متشابهة مثل ( المنازل الشوارع والميادين، أو الغرف والصالات والأفنية )، ولكنها تختلف من ثقافة إلى أخرى من خلال كيفية تنظيم هذه العناصر ومعناها(21). شكل (10)

ويكتسب المكان المعنى المميز له بطرق عديدة أهمها تجربة الناس للمكان، وقد يكتسب المكان معناه لأهمية وظيفية أو اقتصادية أو سياسية أو تاريخية لدى المجتمع، فالأماكن الناجحة هي التي تحوي معاني تحترم وتتوافق مع الخصائص الثقافية وتفضيلات المجتمع بل وتنبع منها.

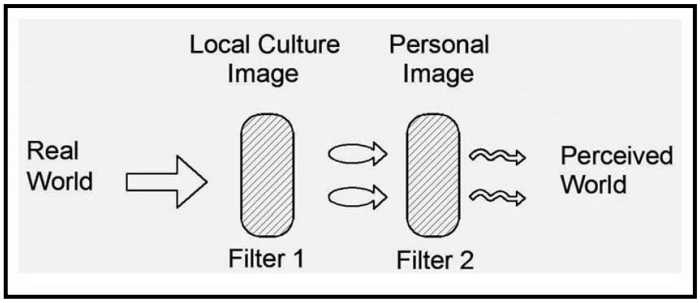


**شكل(9):** أثر الثقافة على إدراك الشخص لبيئته العمرانية.– المصدر: (34)

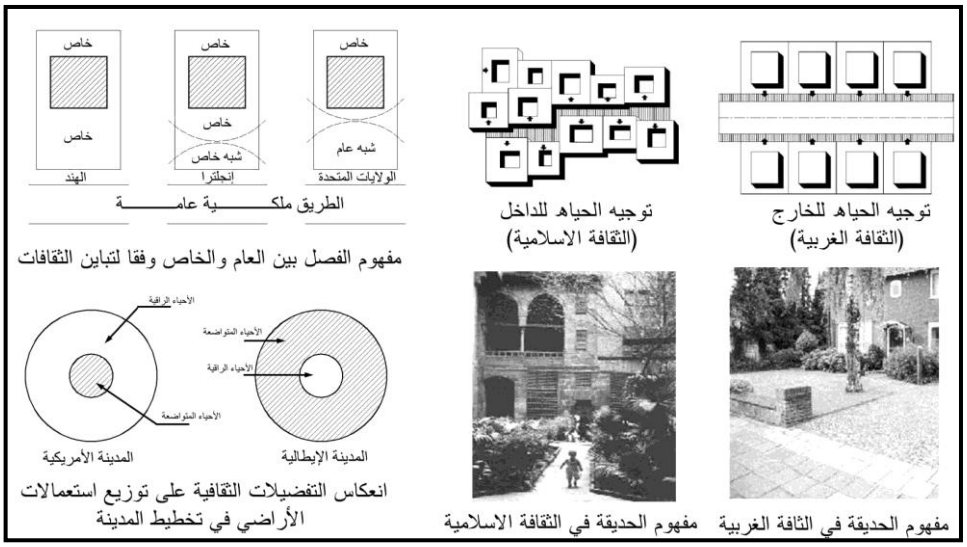


**شكل (10):** انعكاس تباين المعاني وفقاً لتباين الثقافات على تشكيل النتاج البنائي وإكسابه التميز والتفرد (هوية عمرانية مميزة).
المصدر: يوسف ، محسن صلاح الدين، ( 1992)، " تطور الشخصية العمرانية للمدينة العربية المعاصرة "، رسالة دكتوراه ؛ قسم التخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة الأزهر. (بتصرف من الباحث)

### *3.4.4. الأنشطة*

حيث تعد الأنشطة عنصر بالغ الأهمية في تطوير إدراك وفهم الناس لبيئاتهم العمرانية، حيث الاعتماد على القيم النوعية والأحداث التي تقع في هذه الأماكن أو البيئات، فالبيئة الحضرية ليست فقط فراغات عمرانية مبنية، وإنما تكتسب أهميتها من خلال الأنشطة التي تسمح بوقوعها أو تمنعها، فأهمية الذاكرة والتجربة والزمن في تطور فهم الناس لبيئاتهم تشير إلى علاقة الأفراد بالهوية وبالمكان [22]، ويؤكد (رالف Ralph ) على أهمية تجربة الإنسان للمكان (وقوع الأنشطة في المكان وتجربتها) ، حيث أن الأماكن هي: " اندماج النظام الطبيعي والبشري وهي مراكز كبيرة لتجاربنا المباشرة في العالم"، وأن الميزة الأساسية للمكان هي قدرته على تنظيم وتركيز مقاصد وخبرة وسلوك الإنسان مكانياً، فالتجربة المكانية هي التي يتم من خلالها إدراك هوية المكان بدرجات مختلفة من التركيز تقع من خلال ثنائية كون الشخص المجرب للمكان في حالة من الوجود الداخلي أو الوجود الخارجي Existential Insideness Or Outsideness [31].

ويرى " Jan Gehl " أن جودة الأماكن العامة تؤثر على كثافة استخدامها، ويقسم " Gehl" الأنشطة إلى أنشطة ضرورية أو وظيفية مثل القيام برحلة من المنزل إلى العمل...، وأنشطة اختيارية أو ترفيهية مثل اللعب والترويح، وأنشطة اجتماعية وهي محصلة الأنشطة الوظيفية والترفيهية، تلك التي ينتج عنها التفاعل وإقامة العلاقات الاجتماعية [20].

### *4.4.4. روح أو عبقرية المكان*

تعتبر "روح أو عبقرية المكان Spirit Of Place or Genius Loci " مكون اقل مادية ولكنه يعمل على ربط هذه المكونات والجدليات واحتضانها، كما أنه نتاج تآلف وانسجام المكونات الثلاث، فهو السمة المميزة للهوية، وهو ينطوي على التضاريس والمظهر، الوظائف الاقتصادية والأنشطة الاجتماعية، وأهمية خاصة مستمدة من أحداث الماضي ومواقف الحاضر ، ولكنها تختلف عن الجمع البسيط لكل هذا، فقد تستمر روح المكان رغم التغييرات العميقة في المكونات الأساسية للهوية ، فروح المكان التي تبقي عبر التغييرات هي غامضة ويصعب تحليلها من الناحية المفاهيمية، ولكن في الوقت ذاته هي واضحة بكل بساطة في تجربتنا للأماكن لأنها تشكل تميزها وتفردها.(شكل11) ومن الجدير بالذكر أن الوزن النسبي لكلٍ من هذه المكونات

الفرعية يمكن أن يكون له أهمية كبيرة في تحديد هوية خاصة، وبالتالي فنحن نعترف بمدن الفحم والتعدين أو القرى الجبلية Coal-Mining Towns or Mountain Villages، حيث تكثيف الهوية في ميزة واحدة تملك جوهر المكان، وهو ما يعتمد على الظروف المحلية ومقاصد المصمم(20).(شكل12)

*5.4. جدلية العلاقة بين مكونات الهوية العمرانية*

والمهم هنا هو الطريقة التي تكون من خلالها الإعدادات المادية والأنشطة والمعاني مترابطة، مثل المكونات المادية والحيوية والذهنية للسلوك التي يعرفها " Merleau-Pnty " : " أنه من الممكن أنهم يشكلون سلسلة من الجدليات التي تشكل هيكل واحد مشترك "، فالسياق المادي والأنشطة تجتمع لتوفر للإنسان المواقع " الدائرة الوظيفية Functional Circle " ، والإعداد المادي والمعاني تجتمع في التجربة المباشرة للمناظر الطبيعية أو مناظر المدن، والأنشطة والمعاني تجتمع في كثير من الأعمال الاجتماعية والتاريخ المشترك التي لديها إشارة ضئيلة إلى الإعداد المادي، وكل هذه الجدليات مترابطة في المكان، وانصهارها هو الذي يشكل هوية المكان، فالمظهر المادي والأنشطة والمعاني هي المواد الخام لهوية المكان والروابط الجدلية فيما بينهم هي العلاقات الهيكلية الأولية لهذه الهوية(20).

**شكل (11):** " شارع المعز لدين الله الفاطمي " روح المكان باقية رغم التغيرات التي طرأت على المكان عبر مسيرة الزمن.- المصدر: تصوير الباحث

**شكل (12):** " قرية بيربير الجبلية بالمغرب " نموذج لتركيز الهوية في ميزة واحدة هي التي تملك جوهر المكان.
Source: www.trekkinginmorocco.net/...in-Morocco/arabe.html

## 5. العولمة والتطور التكنولوجي والواقع العمراني المعاصر

*1.5. مفهوم العولمة ومؤثراتها*

العولمة هي ظاهرة قديمة قدم التاريخ ، فالعولمة تحدث عندما تتصدر حضارة ما باقي الحضارات وتقود العالم، فهي ليست ظاهرة اقتصادية أو سياسية أو تقنية أو معلوماتية فحسب، وإنما هي ظاهرة تاريخية

مستمرة تُعبر عن رغبة أمة في السيطرة على باقي الأمم بقيمها وثقافتها بما يخدم أهدافها ومصالحها (12).
ولقد ظهر مصطلح " العولمة " بقوة في ستينيات القرن العشرين بعد ظهور مصطلحات " ما بعد الثورة الصناعية "، و " ما بعد الحداثة "، وانتشر في تسعينيات القرن العشرين بعد سقوط سور برلين وانهيار الاتحاد السوفيتي، وهو مصطلح مرتبط بانفجار تقنيات الاتصال على نحو ضاقت معه الأمكنة وتقلصت معه المسافات، إلى حدٍ أصبحت فيه الأرض قرية صغيرة تسبح في هذا العالم الرقمي، فهي ترتبط بالاقتصاد الرقمي ونقل المعطيات شبه المادية التي هي علامات وإشارات مسجلة على ألواح الكترونية، فهي تعني ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم، سواءٍ المتمثلة في السلع والخدمات أو في انتقال رؤوس الأموال وانتشار المعلومات والأفكار، وتأثير أمة بقيمها على باقي الأمم (9).

**وتتعدد مؤثرات العولمة** ، ويتنوع مفهومها بتنوع تأثيرها، حيث يرى Mark Ritchie أن العولمة كمؤثر اقتصادي هي العملية التي يتحرك بها المؤسسات أموالها ومصانعها ومنتجاتها في جميع أنحاء العالم بسرعة أكبر من سرعة أي وقت مضي بحثاً عن العمالة والمواد الخام الأرخص والحكومات التي لديها استعداد للتخلي عن أو تجاهل المستهلك وقوانين حماية العمل والبيئة، فهي كأيديولوجية غير مقيدة بالاعتبارات الأخلاقية والمعنوية (35).

ويطرح Mike Featherstone في كتابه " تفكيك الثقافة والعولمة وما بعد الحداثة والهوية " مفهوم العولمة كمؤثر ثقافي من أن " عملية العولمة تشير إلى صورتين في آنٍ واحد: الصورة الأولي تستلزم تمديد ثقافة معينة خارج حدودها إلى العالم، فالثقافات غير المتجانسة تصبح مندمجة ومتكاملة في ثقافة سائدة تلك التي تغطي العالم كله في نهاية المطاف، والصورة الثانية تشير إلى ضغط الثقافات فالكيانات الثقافية القائمة مسبقاً يتم إحضارها الآن على اختلافها في اتصالٍ وتجاور (23).

ووفقاً لتناول العولمة ومفهومها ومؤثراتها يمكن القول بأنه: لا يُقبل بأن تكون العولمة هي تحقيق الوحدة والتجانس الكامل بين جميع أجزاء العالم والمجتمع البشري، لأن هذا ينافي السنة الكونية والطبيعة البشرية التي جُبل عليها الخلق وفقاً لقوله تعالى " وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا " ( سورة الحجرات ، آية 13)، في حين يمكن قبول العولمة من منظور تحقيق درجة عالية من التفاعل والتنافسية بين مناطق ومجتمعات بشرية مختلفة ومتباينة كلُ منها له خصائصه المميزة، وبالتالي زيادة درجة التأثير والتأثر المتبادلين من أجل النفع العام للجميع بما يتفق وخصائص كل مجتمع، وهو ما يرتبط بمفهوم الاعتماد المتبادل للعولمة وفق معايير كل مجتمع.

### *2.5. تداعيات العولمة على العمارة والعمران (اللامكانية)*

يمكن رصد تداعيات العولمة في إطار تأثيراتها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية على العمارة والعمران كالتالي:

**<u>على مستوى العمارة:</u>** حيث تعاني العمارة تناقضاً جذرياً بين خصوصية العمارة ومنطقها الحاكم والقائم على ضرورة ملائمة المنتج المعماري لظروفه المحلية ولمتطلبات محتواه وسياقه العمراني والاجتماعي والبيئي، وبين أطروحات العولمة المتمثلة في ثورة الكفاءة المتمثلة في تسارع ونمو قاعدة موارد وتقنيات البناء الجديدة والتقليدية، ومن حيث التطور المذهل في البرامج التي تساعد على إنتاج وتدفق العمل المعماري، وهو ما انعكس على النموذج المعماري والعمراني في ظل العولمة في صورة الانصراف عن اعتبارات المحتوى والسياق، وانفصال النظرية المعمارية والعمرانية عن المجتمع، وتحول النتاج البنائي إلى سلعة تجارية ضمن سوق الاستثمار العولمي الذي يحدد ملامحها وخصائصها وليس الاحتياج المحلي، مما أدي إلى تهميش الهوية المحلية والثقافية ونسخ التراث وتهميش المشاكل البيئية والمتطلبات الحقيقية للمجتمع (9).

**<u>وعلى مستوى العمران:</u>** يرى "Keller Easterling" أن العولمة أنتجت في جميع دول العالم حالة من " الازدواجية Duplicity " حيث الاهتمامات الوطنية و أيضاً الدولية ، وفي المقابل كان سعى القوى غير الحكومية العالمية إلى التواجد خارج نطاق سلطة الدولة القومية في مناطق اقتصادية خاصة ذات تشريعات واتفاقيات تحقق مصالحها في هذه الدول ، بعيداً عن القيود التشريعية والمعايير الأخلاقية المرتبطة بالدولة الوطنية، وهو ما انعكس مكانياً على العمران وسياسات التخطيط على مستوى المدينة وأحياناً على مستوى الدولة، في ظهور وتطبيق فكرة " المنطقة الحرة Free Zone "، أو المطالبة بنوعية معينة من الحياة في المدينة تعرف بـــ " نموذج المدينة العالمية Global City Model " أو مناطق البريق الحضري، التي

ينشئها نخبة من رجال الأعمال الدوليين ويتم فيها دمج العديد من الأدوار مثل التسوق والترفيه والتكنولوجيا والإعلام والخدمات الأخرى التي يحتاجونها وفق توجهاتهم، وهي مناطق تقع داخل النطاق الجغرافي للدولة وخارج نفوذها وسيادتها، وبمعزل عن الخصوصية البيئية والثقافية للسياق المحلي[27]،[30]. (شكل13)

وبالتالي يمكن القول بأن العولمة تهدف وتؤدي إلى استفحال ظاهرة " اللامكان Placelessness "، حيث غياب الفوارق المحلية والإقليمية والخصوصية البيئية والثقافية للنتاج البنائي عمارةً وعمراناً، ومن أهم سماتها التشابه والتكرار والتركيز على الجوانب الوظيفية البحتة ومظاهر الرفاهية الزائفة والغرابة وافتقاد الإحساس بهوية المكان والانتماء والتماهي معه.

" مدينة دبي للإنترنت"

" مدينة دبي للإعلام"

**شكل (13):"** أثر العولمة على العمران بإمارة دبي، حيث التحول إلى نموذج المدينة العالمية وفكرة المنطقة الحرة مع انعدام العلاقة بين المنتج العمراني وسياقه الطبيعي والثقافي والاجتماعي".- المصدر: [27]

### *3.5. التطور التكنولوجي وأثره على العمارة والعمران*

يذكر"Spengler" أن التكنولوجيا ليست مجرد أداة وإنما هي كفاح ونضال ووسيلة بحث عنها الإنسان ويحاول الاستفادة منها لتحقيق غاياته، ويطلق مصطلح التكنولوجيا على المبادئ العلمية والاختراعات التي يستفاد منها في تطوير المجالات الصناعية، فتشمل مصادر الطاقة وطرق استخلاص المواد الخام والعمليات الصناعية وكل ما يفيد الإنتاج ويرفع من مستوى جودة السلع والخدمات، والتكنولوجيا في مجالات البناء هي الوسيلة التي يتم من خلالها البناء حيث توفير المواد والأدوات اللازمة، وتعتمد بصفة أساسية على التطور الدائم من أجل تحقيق أقصى استغلال للمواد ووسائل التنفيذ والحصول على منتج بنائي عالي الكفاءة والجودة بأقل جهد ممكن[9].

لقد ساهم تطوير تكنولوجيات جديدة في كل من التصميم المعماري وتقنيات البناء في ظهور عمارة الطليعة، والإسهام في مورفولوجية متميزة للمدن من خلال برامج (GIS) التي يتم استخدامها بصورة متزايدة في مجال تخطيط المدن، وبمساعدة برامج الكمبيوتر المعاصرة للتصميم المعماري يمكننا أن نؤلف وننشأ مباشرة المشروع بأكمله دون اللجوء إلى العرض الأولي للتصميم، وبدون هذه البرامج يكاد يستحيل إنتاج عمارة الطليعة حتى ولو كان لدينا المواد الحديثة المناسبة لذلك مثل (such as titanic zinc, membranes of ethylene etc)، فهذه الهياكل المعمارية يتم إنشائها من خلال حسابات إنشائية غاية التعقيد بواسطة برامج خاصة، ويكاد يستحيل إنجازها بدونها[26]. شكل (14)

ومع ذلك ، فإن التشكيلات المبتكرة التي تنتج في المدن تأتي في تناقض مع الأشكال التقليدية والتاريخية منها، وهذا يعزز مشكلة "هوية المكان" في هذا العصر من العولمة الاقتصادية والثقافية، فالباحثون من المخططين والمعماريين قلقون بشأن مستقبل المدينة، فالمدينة اليوم هي كيان قائم على تعقيد شديد، كرد فعل ضد نزعات الزحف العمراني والتفرد الذي يهيمن على جميع أحداث الحياة المعاصرة، فالمراكز الحضرية والأماكن العامة أصبحت تعبيرات حرجة للحياة المحلية، مما يجعل عمليات استعادتها وتجديدها يكتسب أهمية خاصة في المدن المعاصرة[29]. شكل (15)

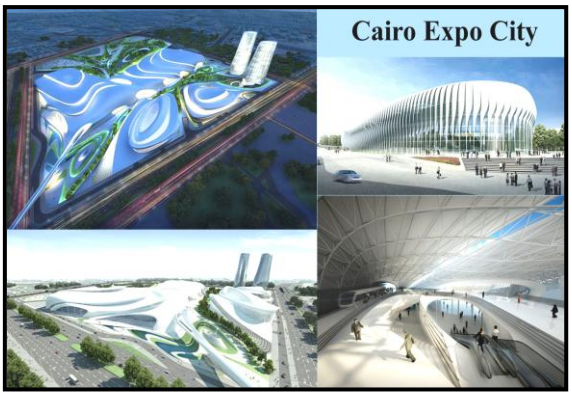


**شكل (14):**" مشروع مركز المعارض والمؤتمرات بالقاهرة الجديدة للمعمارية زها حديد " نموذج لتأثر المنتج المعماري بمخرجات التطور التكنولوجي الهائلة، مع سيطرة رؤية المعماري على العمل.
Source: www.zaha-hadid.com/masterplans/**cairo-expo-city**/

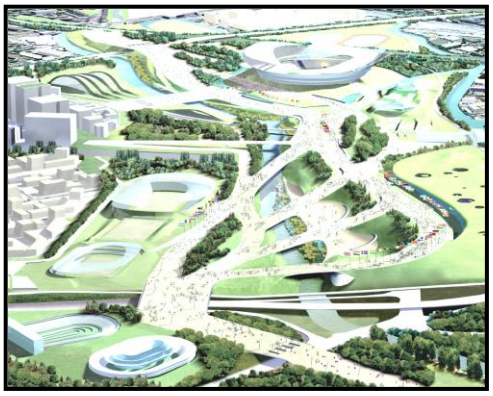

**شكل (15):** " المخطط العام للحديقة الأولمبية بشرق لندن " نموذج لتأثر المنتج العمراني بمخرجات التطور التكنولوجي الهائلة. – المصدر:(27)

## 6. نتائج وتوصيات البحث

من خلال الطرح والعرض السابق أمكن التوصل إلى النتائج والتوصيات التالية:

### *1.6. نتائج البحث*

#### *1.1.6. على مستوى العلاقة بين العولمة والهوية*

العولمة ترتكز على وحدوية المكان والمنهج والرؤى فهي تفترض وحدة الشعوب والمجتمعات، الثقافات والحضارات، الإمكانيات والمحددات، الرؤى والتوجهات والسياسات، الآمال والتطلعات، العقائد والأديان، وهو ما يختلف والسنة الكونية في الخلق الذي جُبل على الاختلاف والمغايرة من أجل التعارف والتواصل والتكامل، وهو ما يمثل خطراً بالغ الأثر على مجتمعاتنا العمرانية وهويتها المميزة، في حين ترتكز الهوية على مفهوم المكان وخصوصيته الطبيعية والثقافية، فهي تعني سمات التفرد والتميز والمغايرة، كما تعني انسجام المنتج العمراني مع بيئته الطبيعية والمبنية والثقافية، وهو ما يتوافق والسنة الكونية بعكس العولمة، فالهوية هي نقيض العولمة.

#### *2.1.6. " العولمة " من حيث القبول والرفض*

لا يُقبل بأن تكون " العولمة " هي تحقيق الوحدة والتجانس الكامل بين جميع أجزاء العالم والمجتمع البشري، في حين يمكن قبول العولمة من منظور تحقيق درجة عالية من التفاعل والتنافسية بين مناطق ومجتمعات بشرية مختلفة ومتباينة كلُ منها له خصائصه المميزة، وبالتالي زيادة درجة التأثير والتأثر

المتبادلين من أجل النفع العام للجميع بما يتفق وخصائص كل مجتمع، وهو ما يرتبط بمفهوم الاعتماد المتبادل للعولمة وفق معايير كل مجتمع.

### 3.1.6. على مستوى الهوية والتطور التكنولوجي

أنه من الضروري اللحاق بركب " التطور التكنولوجي" وتحقيق أقصى استفادة منه لأنه بالأساس لخدمة ونفع البشرية، ولكن التحدي الأكبر يكمن في كيفية استخدام وتطويع التكنولوجيا وتطويرها بما يدعم ويحترم الخصائص والسمات المميزة لكل مجتمع وتلبية متطلباته واحتياجاته بما يدعم هويته العمرانية والثقافية واستمراريته الحضارية، ويدعم أيضاً المشاركة الفاعلة والايجابية في النظام العالمي وليست السلبية والتبعية وفقدان روح وهوية المكان في إطار الهوية العمرانية والثقافية الموحدة أو العالمية التي يفرضها الغرب المتقدم تكنولوجياً واقتصادياً، فضلاً عن سيطرة رؤية المصمم على المنتج المعماري والعمراني والرغبة في تحقيق أقصى قدر من الإبهار والرفاهية مع إهمال الخصوصية البيئية والثقافية والإمكانيات والمحددات الاقتصادية كموجه أساسي للعملية التصميمية.

## 2.6. توصيات البحث

نظراً لما تحتله قضية الهوية من أهمية كبيرة في مجالات العمارة والعمران يضع البحث مجموعة من التوصيات على مستويات متنوعة وهي كالتالي:

### *1.2.6. سبل دعم إكساب النتاج البنائي هوية عمرانية مميزة*

- **مدخل نظري مُقترح (على مستوى المصمم والعملية التصميمية)؛** مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة على العمارة والعمران وما ترتب على ذلك من تفشي ظاهرة اللامكانية ، يوصي البحث بضرورة وعي المصمم العمراني بكون مفهوم المكان هو الركيزة الأساسية لمُدخلات العملية التصميمية العمرانية، وفي ضوء ذلك يقترح البحث مدخل نظري كما هو موضح بالشكل (16) ، حيث اعتبار الخصائص المادية واللامادية للمكان (الموقع) كمُدخلات في العملية التصميمية، وتنطوي هذه الخصائص على:

- خصائص البيئة الطبيعية (مادي): المتمثلة في خصائص طبوغرافية الأرض، والمناخ، والتربة، والمسطحات المائية، والثروات والموارد الطبيعية، والنباتات والحيوانات البرية، حيث تملك هذه الخصائص تأثيراً هاماً في توجيه العملية التصميمية وإكساب النتاج البنائي هوية مميزة ، من حيث نمط شبكة الطرق وخصائص النسيج العمراني، العلاقة بين الطبيعي والمصنوع والمناظر الطبيعية ، الملائمة المناخية للنتاج البنائي، النشاط الاقتصادي، نوعية مواد البناء.
- خصائص البيئة المبنية (مادي): وهي خصائص النتاج البنائي القائم (الموروث) المميز، حيث خصائص النسيج والطابع العمراني من حيث نمط الشبكة والعلاقة بين الكتلة والفراغ، والعلاقة بين الطبيعي والمصنوع، والكتلة ومقياسها ونسبها، والطابع والطرز المعمارية، وعناصر تنسيق الفراغات، ومواد البناء، تلك الخصائص التي يمكن من خلالها استقراء كيفية معالجة مجتمع المكان للبيئة الطبيعية وفق احتياجاته وخصائصه المميزة.
- خصائص البيئة الثقافية لمجتمع المكان (لا مادي): وهي تشمل المعاني والأنشطة والأحداث المميزة لمجتمع المكان، التي تنطوي على اللغة والدين والعادات والتقاليد والقوانين والتشريعات والحرف والفنون والأحداث التاريخية ذات القيمة ، تلك الخصائص التي تعبر عن الخصوصية الثقافية لمجتمع المكان ونظرته للأشياء وعالمه المحيط، وبالتالي تعكس تفضيلاته الثقافية، فخصائص البيئة الثقافية عنصر فاعل ورئيسي في تمايز النتاج البنائي وإكسابه هويته المميزة.

مع التأكيد على العلاقة التكاملية والمتبادلة من التأثير والتأثر فيما بين هذه الخصائص مادية ولا مادية، كما يوصي المدخل المقترح على ضرورة وعي المصمم بالخصائص والسمات الجوهرية التي تملك روح المكان (الميزات النسبية للمكان) والعمل على إبرازها من خلال العملية التصميمية، بما يؤسس لإكساب النطاق العمراني شخصية وهوية مميزة تدعم الانتماء للمكان وإكسابه صورة ذهنية متماسكة وقوية، وبالتالي الارتباط به والتماهي معه، وهو ما يعود على المكان بفوائد عديدة بيئية واجتماعية واقتصادية.

- **على مستوى دعم مستقبل الهوية العمرانية:** كما توصل البحث إلى أن الهوية ذات طبيعة عضوية حيث تمر الهوية عبر مسيرة الزمن بمراحل (الولادة ثم النضج ثم التحلل والاحتضار) وبالتالي يوصي البحث بأن ضمانة الاستمرارية الحضارية للهوية العمرانية تكمن في ربط الأصالة بالمعاصرة ومواكبة المستجدات ، ليس فقط من خلال اللحاق بركب التطور العلمي والتكنولوجي بل والابتكار والإبداع بما يتفق والخصوصية المحلية الطبيعية والثقافية. شكل (17)

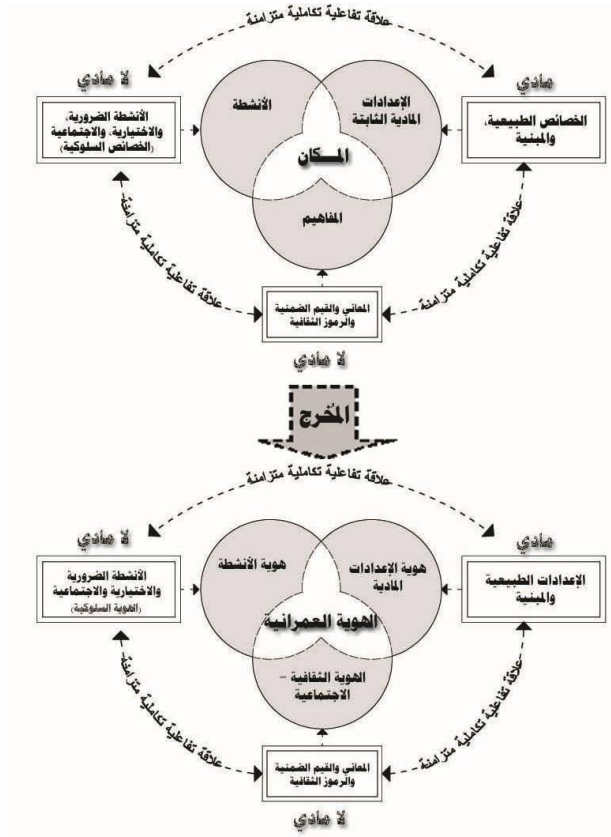


**شكل (16):** مدخل نظري مقترح (مفهوم ومكونات المكان كركيزة أساسية لمدخلات عملية التصميم العمراني ضمانة تميز النتاج العمراني بهوية عمرانية مميزة وانتمائه لسياقه المحلي الطبيعي والثقافي - ثنائية المُدخل والمخْرج).المصدر: الباحث

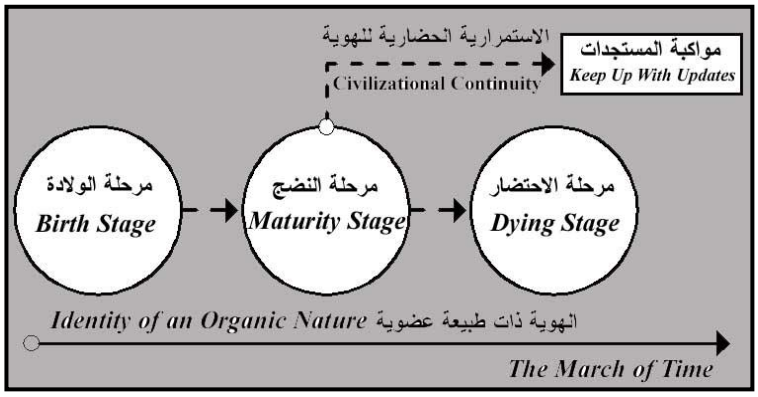

**شكل ( 17):** الهوية ذات طبيعة عضوية تستمد قوتها الوجودية من خلال قدرتها على استيعاب ومواكبة المستجدات. - المصدر: الباحث

- **على مستوى الجهات المعنية بإصدار التشريعات العمرانية:** يجب على الجهات المعنية بإصدار التشريعات العمرانية (في جمهورية العربية على سبيل المثال) تبني سياسة اللامركزية في إصدار التشريعات العمرانية ، بحيث يكون لكل إقليم جغرافي تشريعات عمرانية خاصة به تتوافق مع خصوصيته ومقوماته البيئية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وليس تبني قانون موحد للتشريعات العمرانية على مستوى الدولة مع اتساع نطاقها الجغرافي دون مراعاة التباين والتنوع البيئي والثقافي الاجتماعي (وهو ما يمكن أن نلحظه من التشابه والتكرار ووحدة البنية التشكيلية للمدن الجديدة على مستوى الجمهورية).
- **على مستوى التعليم المعماري والعمراني:** يجب أن يتم تضمين التعليم العمراني والمعماري قضايا الهوية والعولمة نظرياً وتطبيقياً، للتنمية الوعي لدى الطلاب بالقضايا العمرانية المعاصرة والتأكيد على ارتباط المنتج العمراني بسياقه المحلي الطبيعي والثقافي في مواجهة تيارات العولمة وانفصال النظرية العمرانية والمعمارية عن السياق المحلي وخصوصية الموقع بيئياً وثقافياً، بحيث يكون المنتج العمراني بمثابة انعكاس للاستغلال الأمثل لإمكانيات المكان وإبراز خصائصه المحلية التي تملك جوهر المكان ومعالجة مثلى لسلبياته.
- **على مستوى القنوات الإعلامية والثقافية:** تملك القنوات الإعلامية والمؤسسات الثقافية تأثير كبير في تشكيل الوعي المجتمعي، وبالتالي يجب أن تتبنى هذه القنوات والمؤسسات دعم المستوى الثقافي الجمعي فيما يخص قضايا الهوية والعولمة والقضايا العمرانية المتنوعة، والتوعية بأهمية توافق المنتج العمراني والمعماري مع خصائص الموقع البيئية والثقافية وإبراز ملامح المكان المميزة وتشجيع المشروعات العمرانية والمعمارية في هذا المجال بما يعود بالنفع الجمعي من حيث رفع مستوى الثقافة العمرانية لدى المجتمع وكسب مناطق ذات هوية عمرانية ومعمارية متميزة كمناطق جذب سياحية.

**المراجع**


1. إبراهيم، عبدالباقي (1982)، " تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة "، مركز الدراسات التخطيطية، القاهرة.
2. إبراهيم، عبدالباقي (أكتوبر-1994)، " الربط بين الأصالة والمعاصرة واستمرارية التراث "، ندوة الحفاظ على التراث المعماري الخليجي المتميز، الدوحة، قطر، (الناشر: مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة).
3. أبو سعده، هشام (2010)، الكتاب الثاني " المرشد في العمارة والعمران "، الطبعة الأولى، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.
4. أبو سعده ، هشام - عبد العزيز، بدر (2002)، " مهنة عمارة البيئة " ، دار العالم العربي للطباعة ، القاهرة.
5. أكبر، جميل عبد القادر (1995)، " آليات الإبداع في العمارة الإسلامية "، ندوة إشكالية العمارة والتطبيق في العمارة الإسلامية، جمعية المهندسين البحرينية، البحرين.
6. الجابري، محمد عابد (ديسمبر 1999)، " العولمة والهوية الثقافية "، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
7. الجابري، محمد عابد (1986)، " الموسوعة الفلسفية العربية "، معهد الإنماء العربي، بيروت.
8. السيد، وليد (ابريل- 2002)، " الأصالة والمعاصرة: إشكالية العمارة العربية بين الماضي والحاضر"، مقال منشور، صحيفة الجزيرة السعودية ، العدد 10796. (www.al-jazirah.com)
9. العرشي ، آمال (2006)، تواصل المضمون والتشكيل في العمارة التقليدية والمعاصرة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الهندسة، قسم العمارة، بتصرف من الباحث.
10. العطار، عصام (1999)، " كلمات "، الدار الإسلامية للأعلام، بون.
11. حسين، عاهد صبحي (2006) ، " التواصل بين العمارة والذاكرة الجمعية : مدخل لترسيخ بنية ذاكرة المكان عبر تفعيل هوية العمران - الواقع العمراني الفلسطيني المعاصر"، رسالة دكتوراه ، قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة.
12. حفني، حسن – العظم، صادق جلال (2000) ، ما العولمة : العولمة بين الحقيقة والوهم ، دار الفكر ، الطبعة الثانية.
13. حمدان، جمال (1980)، " شخصية مصر : دراسة في عبقرية المكان "، الجزء الأول، دار الهلال، القاهرة.
14. علام، أحمد خالد ( 1998)، تخطيط المدن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.
15. فتحي، حسن (1989)، " عمارة الفقراء: تجربة في ريف مصر"، ترجمة د. مصطفى ابراهيم فهمي، الناشر الجامعة الأمريكية، القاهرة.
16. مناع، هيثم (سبتمبر-2005)، " أبحاث نقدية في حقوق الإنسان "، دار الأهالي والمؤسسة العربية الأوربية للنشر.
17. Alexander, Christopher, (1979), "The Timeless Way Of Buildings", Oxford University Press.

18. Bartuska, Tom Jon and Young, G. (2007), " The Built Environment : Definition and Scope", Crisp Publications Inc., Canada.
19. Canter, David (1977), "The Psychology of Place", London: Architectural Press.
20. Carmona, Matthew and Steve, Tiesdell, (2007), "Urban Design Reader", First edition, Architectural Press, Oxford, UK.
21. Charalambous, Nadia (2007), "Social and Spatial Patterns of Cultural Heritage ", International CIPA Symposium, Athens, Greece.
22. Cheshmehzangi, Ali (2011), " Urban Identities: Influences on Socio-Environmental Values and Spatial Inter-Relations", ASEAN Conference on Environment-Behaviour Studies, Bandung, Indonesia.
23. Featherstone, Mike (1995),"Undoing Culture, Globalization, Postmodernism and Identity", London: Sage.
24. Greenop, Kelly (2009), "Place Meaning, Attachment and Identity in Contemporary Indigenous Inala, Queensland ", Aboriginal Environments Research Centre, School of Architecture, The University of Queensland.
25. Hauge, Ashild Lappegard, (2007), " Identity and place: a critical comparison of three identity theories.", Architectural Science Review, http://www.highbeam.com.
26. Katsara, Antigone (2008), "The Impacts of New Technologies on Urban Transformation", Ph.D. Candidate Department of Planning and Regional Development, University of Thessaly, Volos, Greece.
27. Kelbaugh, Douglas and McCullough, Krankel (2005), "Writing Urbanism" A design reader, Routledge Taylor Frances, London and New york.
28. Lynch, Kevin, (1981), "A Theory of Good City Form", MIT Press, USA.
29. Moor, Malcolm and Rowland, Jon, (2006), "Urban Design Futures", this edition published in the Taylor & Francis e-Library.
30. Newman, Peter and Thornley, Andy (2000), " Globalization, World Cities and Urban Planning: Developing a conceptual framework ", Paper delivered at the Planning 2000 Conference held at the LSE.
31. Seamon, David (1996), "A singular Impact: Edward Relph's Place and Placelessness", the Environmental and Architectural Phenomenology Newsletter, vol. 7, no. 3.
32. Salama, Ashraf Mohamed (1998), " Human Factors in Environment Design: An Introductory Approach to Architecture", the Anglo Egyptian Bookshop, Cairo.
33. Sime, Jonathan D. (1995), creating places or designing spaces? In L. Groat (Ed.) Giving Places Meaning. Readings in Environmental Psychology, Vol 4. London: Academic Press, pp.27-41
34. Rapoport, Amos (1977), "Human Aspects of Urban Form: Towards A Man Environment Approach to Urban Form and Design", Oxford, Pergamon Press.
35. Ritchie, Mark (1996), "Globalization vs. Globalism", International Forum on Globalization, see: http://www.itcilo.it/english/actrav/telearn/global/ilo/globe/kirsh.htm.
36. Roberts, Marion and Greed, Clara (2001), " Approaching Urban Design: The Design Process ", Pearson Education Limited, England.
37. Watson, Georgia Butina and Bentley, Ian (2007), "Identity by design" , Published by Elsevier Ltd , Printed and bound in Italy.

# "IDENTITY AND GLOBALIZATION: TOWARDS A THEORETICAL APPROACH THAT SUPPORTS PROVIDING URBAN PRODUCT A DISTINCTIVE URBAN IDENTITY"

**Ahmed Abu El-Soud Hassan**

*Ass. Lecturer of Architecture – Faculty of Engineering, Sohag University*
*PH. D. Student in Urban Planning Department, Faculty of Engineering, Al-Azhar University.*
*Email Address: Soud_scape@yahoo.com*

ABSTRACT

The temporary city, specially Arabian city faces great challenges mainly after the wide spread of globalization phenomenon and the great technology revolution and what followed that from its trial to follow this great development in the form of blind imitation, ignorance of the local features characterizing the city and importation of urban theories and legislations which are foreign from local context. What leads to deficiency of temporary city urbanism to most of the characteristics and features which provides it uniqueness and identity, furthermore, it leads to spread of Placelessness phenomenon and as a result great interest in identity issues and sense of place emerges, since urbanism (built environment) is considered open window on nations' civilization as it is the tool for cultural expression of the society in the form of tangible civil product that reflects the cultural attitudes of this society which are represented in its authentic values and traditions thus they are its goals while the city is its means and applications in real life. The science of urbanism determines life style and how it is developed socially, economically and environmentally accepted with spatial society characteristics and its cultural attitudes.

The research aims at exploring the relation between identity and globalization to clarify the causes of the spread of Placelessness phenomenon in our temporary urbanism seeking to reach theoretical approach supporting the emerge of an urban product characterized by belonging to its local context and respecting spatial society characteristics and its cultural roots supporting urban identity future and keeping with scientific and technological updates.

*Keywords:* Urban Identity, Authenticity and Contemporariness, Globalization, Technology Development, Placelessness.